تاريخ العلوم
المجلة العربية المتخصصة في تاريخ العلوم والدراسات والأبحاث الإيبستمولوجية

الإعلام والدين في السياسة الخارجية الأمريكية

د. بلهول نسيم جامعة علي لونيسي (البليدة 02)nassaiki@yahoo.fr .

أ.د. عطاء الله أحمد فشار جامعة زيان عاشور - الجلفة

تاريخ الاستلام : 2018-03-26 تاريخ القبول : 2018-05-28

ملخص:

إن القوة الإعلامية الدينية التي تزداد في أمريكا يوما بعد يوم تعتبر لدى البعض من أبرز عوامل ارتفاع ونمو معدلات الأصولية والمفاهيم الكنسية القديمة والحديثة، كما أن لها إسهاما واضحا في قوة الحملة على المؤسسات الإسلامية، وكذلك على بعض الدول الإسلامية التي تشكل نقطة ارتكاز جيو - إسلامي مهمة، ولاسيما أن تلك القوة تأتي من خلال الاستفادة والاستثمار للوسائل الإعلامية المعاصرة، حيث أصبح المتدينون يقضون صلواتهم ودعاءهم أمام شاشات القنوات الدينية، كما يتفاعلون معها في عمليات جمع التبرعات التي تعتبر جزءا من ثقافة كل أمريكي.

إن تلك القنوات تشكل عقلية عدوانية إرهابية على الإسلام والمسلمين بشكل لا يستهان به، خاصة من خلال برامج المتطرفين اليمينيين المدعومين رسميا وشعبيا، وكما أشار بول فندلي في حديثه عن الإرهاب، وكيف صنع فيلم (الجهاد) – الذي عمله اليهودي (إمرسون) – في عقليات معظم الشعب الأمريكي ما لم تصنعه وسيلة أخرى، وذلك قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

الكلمات المفتاحية:

الدين– الإعلام – الكنيسة – أمريكا – المسيحيون – العلمانية – التنصير – اليهود – إسرائيل.

Abstract:

The religious media power increasingly in America, day after day, are considered among some of the most prominent high and the growth of fundamentalism rates ancient and modern church and concepts factors, they also have a clear contribution to the campaign against Islamic institutions force, as well as some Islamic countries that form the fulcrum Geo point – Islamic task, especially those that power comes through the media and investment to take advantage of the means of contemporary, where he became a religious people spend their prayers and their prayer in front of screens religious channels, and interact with them in raising funds that are part of the culture of every American operations.

These channels form the mentality of aggressive terrorism against

Islam and Muslims in a significant manner, especially by right-wing extremists backed programs officially and popularly, as Paul Findley pointed out in his speech about terrorism, and how to make a movie (Jihad) – which his Jewish (Emerson) - in mentalities Most of the American people unless manufactured by other means, before the events of Sept embera theist.

Key Words:

Religion - Media - Church - America - Christians - Secularism - Christianization - Jews - Israel.

مقدمة:

لقد أضحت الكنيسة المرئية منذ النصف الثاني من القرن العشرين صناعة ثرية، نتيجة جمع الأموال باستخدام البرامج الاستعراضية (show business)التي لا تكتفي بمسائل الوعظ الديني، بل تهتم بالوسائل الاجتماعية والسياسية والعسكرية والأخلاقية والفنية والغنائية، وعلى سبيل المثال فقد بلغت موارد شبكة الإذاعة المسيحية (Christian broadcasting network) في عام 1975م حوالي 233 مليون دولار.

وتمثل معظم هذه الكنائس المرئية وجهة النظر المسيحية الأصولية، (وتؤمن بعلاقة النبوءة التوراتية بإسرائيل، وتدعو إلى الصهيونية المسيحية).

وتنتشر هذه البرامج الكنسية المرئية في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل يصعب معه حصرها على وجه الدقة، لكن رابطة الإذاعيين الدينيين الوطنية (national religiousbroadcasters) – وهي رابطة تضم أكثر من 76 بالمائة من محطات التلفزيون والإذاعة المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية ومؤسسة منذ عام 1944م – تشير في إحصاءاتها أن لديها 1000 محطة تلفزيونية وإذاعية مشتركة في نشاطها، كما تقدر أن عدد المستمعين إلى المحطات الإذاعية الأعضاء يصل إلى 115 مليون شخص أسبوعيا، وإلى حوالي 14 مليون شخص لأعضائها من الكنائس المرئية.

ويمكن القول: إن أهم عشر كنائس مرئية في الولايات المتحدة الأمريكية حسب دراسة أجرتها شركة متخصصة، هي شركة إيه. سي. نيلسون A.C.Nelson ونشرتها في أكتوبر 1975م، تشاهد من قبل 40% من مشاهدي التلفزيون الأمريكي.

وكانت هذه البرامج الكنسية المرئية من أبرز العوامل التي ساهمت في عودة الولايات المتحدة الأمريكية إلى أسلوب الحياة المحافظة.

وبهذا الأسلوب الحديث في مخاطبة الجماهير تجاوزت الدعوة الكنسية الأصولية وتأثيراتها حدود أبنيتها، وأعضائها، أو الملتزمين بالصلاة فيها في أيام الآحاد والأعياد والمناسبات الدينية، لتخاطب بواسطة كنيستها المرئية وبرامجها الاستعراضية الملايين من على شاشات التلفزيون وعبر الأقمار الصناعية وأمواج الأثير من منازلهم، فلا داعي إذن للذهاب إلى الكنيسة وتلقي منشوراتها التي لا تكتفي بخطب الوعظ والإرشاد الديني، إنما تحدثه عن الانتخابات وشؤون مجتمعه، ابتداء من قضايا الضرائب والإجهاض والأخلاق ودور المرأة والصلاة في المدارس والأسرة، ومرورا بمناهضة الحرب النووية والشيوعية، وانتهاء بدعم وتأييد إسرائيل وسياساتها كجزء من إرضاء الله، وبات الإنسان الأمريكي قادرا على المشاهدة الروحية وهو في منزله مستلق على سريره أو فوق مقعده المريح، وصار حينما يتبرع بمبلغ ضئيل من الدولارات كمشترك أو لمساعدة برامج وأنشطة الكنسية المرئية يمتلئ الإحساس باكتمال صلاته.

وتعطي الصلاة من خلال الكنائس المرئية – والتي تتم بشكل فردي وفي حجرة الجلوس بالمنزل – المشارك فيها الرغبة التي يطلبها في الأمان والثقة والإحساس بالإنتماء، وتقدم إليه النصيحة لكيفية تحويل الأحلام إلى حقائق والوصول إلى السعادة الدائمة.

ويذكر القس شلر (Shuller) صاحب البرنامج الديني المسمى ساعة من القوة (Hour Of Power) نص رسالة وصلته من أحد المشاهدين لبرنامجه في عام 1979م يقول فيها: "في كل صباح من أيام الآحاد أجلس وزوجتي أمام التلفزيون، ونستمع إلى برنامجك ونحن نتناول الشاي، والآن وأنا بعيد عن المنزل سأستمع إلى برنامجك وأنا جالس في غرفتي في الفندق، بينما زوجتي تستمع إليك أيضا في المنزل[1]". وتظهر تلك البرامج إسرائيل في برامج هذه الكنائس المرئية والصوتية شيئا مقدسا استنادا إلى ما ورد في الكتاب المقدس، وبخاصة في العهد القديم، ويعزز هذا الاعتقاد دعاة بذرائع سياسية واستراتيجية يقدمها هذا البرنامج.

وتجذب برامج الكنيسة المرئية أنواعا وأعمارا مختلفة من الناس، بما في ذلك الأطفال، وقد شكل الأطفال المشاهدون لبرنامج (ساعة من إنجيل زمان) لصاحبه القس (جيري فالويل) ما نسبته 30% من مجمل مشاهديه.

ومن أجل جذب أكبر حجم من المشاهدين فإن الكنائس المرئية لا تكتفي ببث برامجها من خلال ما تملكه من شبكة محطات إذاعية وتلفزيونية، بل تقوم بشراء الفترات في محطات واسعة الانتشار وتختار الأكثر ملاءمة للمشاهدة، وتكرر بث برامجها بشكل كاف لجذب المزيد من المستمعين والمشاهدين، مما أدى إلى أن يكون للبرامج الكنسية المرئية تأثير أساسي في تفكير الأمريكيين وسلوكهم بأشكال مختلفة، ويطلق عليها تسمية (السلطة

الخامسة) في محاولة لتفريقها عن الصحافة كسلطة رابعة.

وتبين استقصاءات (معهد غالوب) وعدد آخر من المؤسسات المتخصصة المستقلة أن أكثر من نصف الأمريكيين يشاهدون برنامجا دينيا أو أكثر مرة في الشهر على الأقل، وقدر معهد غالوب في عام 1981م أن 52 مليون شخص يشاهدون برنامجا أو أكثر من برامج الكنيسة المرئية شهريا، وارتفع العدد في عام 1973م إلى 60 مليون شخص، وفي تقرير آخر نشرته إحدى منظمات الإذاعة الدينية فإن عدد مشاهدي برامج الكنيسة المرئية وصل إلى 52 مليون شخص أسبوعيا في عام 1984م.

ومهما تكن حقيقة حجم مشاهدي هذه البرامج فإنه من الثابت أنها نمت باستمرار طوال العقد الأخير، وصارت نجومها ظاهرة عصرية في الحياة اليومية الأمريكية، وقد بلغ عدد محطات شبكات التلفزيون للكنيسة المرئية في عام 1985م حوالي 1500 محطة.

أما محطات الإذاعة الدينية فيقدر عددها ما بين 122– 1400 محطة تبث الواحدة منها حوالي 17 ساعة يوميا، من بينها حوالي 37% من الوقت للوعظ والإرشاد الديني، 12% للأخبار والمقابلات، كما ازداد اعتمادها في السنوات الأخيرة على استخدام الأقمار الصناعية في بث برامجها، ويقدر أن نصف هذه المحطات يستخدم الأقمار الصناعية.

ويعطي الجدول المرفق قائمة بأسماء أهم ستة برامج في الكنائس المرئية تبعا لأكثرها شعبية واجتذابا للمشاهدين.

كما توضح القائمة اللاحقة أن عدد مشاهدي البرامج العشرة الأولى يزيد عن 68 مليون شخص شهريا، وتبث هذه البرامج من محطات عادية أو من خلال محطات سلكية (Cable) على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية كلها.

ويؤمن المشاهدون بأن تقديم الدعم لإسرائيل هو تنفيذ لكلمة الرب، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك ما يقوله القس الإنجيلي الأصولي صاحب البرنامج المعروف باسمه وهو (جيمي سواغيرت): "أشعر أن الولايات المتحدة الأمريكية مرتبطة بحبل ولادة سري مع إسرائيل!!. ويقول الباحث.. وتعود هذه الروابط إلى ما قبل ظهور الولايات المتحدة الأمريكية بزمن طويل، كما ترجع الفكرة اليهودية المسيحية إلى إبراهيم ووعد الرب له، وهو وعد – كما يقول المؤلف – أعتقد أنه يشمل الولايات المتحدة الأمريكية أيضا، لأن الله ما زال يقول: (إني أبارك الذين يباركون إسرائيل، وألعن من يلعنونها)، ومن فضل الله على الولايات المتحدة الأمريكية أنها ما زالت قوية اليوم، وأنا واثق أن هذا يعود إلى كونها تقف وراء إسرائيل، وأدعو الله أن نظل دوما سندا لإسرائيل).[2]

قائمة بأسماء أهم ستة برامج في الكنائس المرئية تبعا لأكثرها شعبية واجتذابا للمشاهدين في الولايات المتحدة الأمريكية[3]

م	اسم البرنامج واسم صاحبه	البث	المشاهدون أسبوعيا	المشاهدون شهريا
1	السبعمائة ناد (بات روبرتسون)	يومي	4.420.000	16.300.000
2	الحملة الصليبية الأسبوعية (جيمي سواغرت)	أسبوعي	3.640.000	9.254.100
3	ساعة من القوة (روبرت شلر)	أسبوعي	2.720.000	7.641.000
4	مجدوا الرب (جيم باكير)	يومي	2.462.100	5.773.200
5	توقع معجزة (أورال روبرتس)	أسبوعي	3.037.600	5.773.200
6	ساعة من إنجيل زمان (جيري فالويل)	يومي	1.870.000	5.603.4000

النشاط الإعلامي المتخصص عالميا[4]

نوع النشاط الإعلامي الديني	عام 1970م	عام 2001م
محطات إذاعية وتلفزيون تنصيرية	1230 محطة	4450 محطة
المستمعون للمحطات التنصيرية	150 مليون مستمع	619 مليون مستمع
عدد ساعات البث التنصيرية	25 مليار ساعة	172 مليار ساعة
التبرعات لأغراض الكنيسة	70 مليار دولار	280 مليار دولار

يلاحظ من هذا الجدول النمو المتزايد للنشاط الإعلامي الديني المتخصص على مستوى العالم

بشكل عام، ولأمريكا النصيب الأوفر في هذا المجال، وذلك مقارنة بين عامي 1970م – 2001م.[5]

البيت الأبيض والدين:

لا شك أن أمريكا دولة علمانية تفصل في دستورها بين الدين والدولة، إلا أن التيار الأصولي المسيحي – المسيحيون المولودون من جديد – المتمكن في الحزب الجمهوري بشكل خاص يتعامل مع كثير من القضايا بدوافع دينية، كما أن بعضا من رجال الدين يطرحون بقوة إنهاء الفصل الدستوري بين الدين والدولة.

وقد استحدث البيت الأبيض – ولأول مرة في تاريخ أمريكا – مكتبا معنيا بالشؤون الدينية، واسمه مكتب البيت الأبيض للأديان والمبادرات الاجتماعية. (White House Office of Faith – Based and Community Initiatives – OFBCI).

ويبدو أن دور المؤسسات الدينية في تقديم الخدمات الاجتماعية قد ظهر قويا في أوائل عام 2001م عندما تمن إنشاء هذا المكتب المتخصص بناء على أمر تنفيذي إداري من البيت الأبيض في أوائل عام 2001م، وعين فيه جون جي داليلو (John J. Dililo)من جامعة بنسلفانيا مديرا إداريا. غير أنه سرعان ما بدأ نقاش من الجماهير عن مدى المحاسن أو المساوئ لهذه الإدارة في البيت الأبيض في كل من مجتمع الخدمات الإجتماعية والمجتمع الديني.[6]

عن الرموز الدينية المؤثرة في السياسة الخارجية الأمريكية والشبكية التفاعلية الإعلامية:

هناك مجموعة من الرموز الدينية عامة تؤثر في السلوك الخارجي الأمريكي، وفي سياسة الحزب الجمهوري ورموزه السياسية بشكل خاص، ومن أبرزها:

1-جيري فالويل (Jerry Falwell):

وهو قسيس إنجيلي معروف، ويقيم في مدينة لينشبرغ (Lynchburg) في منطقة فيرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وله برنامج أسبوعي إذاعي وتلفزيوني يصل غلى أكثر من 10 مليون منزل أسبوعيا، وله جامعة خاصة أصولية تسمى جامعة الحرية (Liberty University)، ويهاجم النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى، إضافة إلى موقعه الخاص على الإنترنت، والذي يضع فيه في الصفحة الأولى تاريخا زائفا عن النبي محمد صلى الله عليه

وسلم، كما أنه يروج من خلال موقعه كتاب: فلنتقدم إلى معركة هرمجدون (March to Armageddon)، وهي معركة نهاية التاريخ كما في معتقدات الإنجيليين.[7]

2-بات روبرتسون (Pat Robertson):

وهو قسيس إنجيلي معروف باهتماماته السياسية وتأييده المطلق لإسرائيل، ويمتلك عددا من المؤسسات الإعلامية من بينها نادي ال 700 (Club 700)، وهو برنامج تلفزيوني يصل إلى عشرات الملايين في الولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى محطة فضائية تصل إلى 90 دولة في العلم بأكثر من 50 لغة مختلفة وهي محطة: البث النصراني (Christian Broadcasting)، ومنها إذاعة الشرق الأوسط المتخصصة في التنصير في منطقة العالم العربي. كما سعى بات روبرتسون إلى الترشيح لمنصب الرئيس الأمريكي في عام 1988م، ويقف خلف إنشاء أقوى تحالف سياسي ديني في الحزب الجمهوري وهو التحالف النصراني (Christian Coalition) وله موقع إلكتروني على شبكة الإنترنت ويملك أيضا جامعة أصولية وهي جامعة: ريجنت (RegentUniversity).[8]

3-فرانكلين غراهام (Franklin Graham):

وهو ابن القسيس الأمريكي المعروف (بيلي غراهام)، ويعيش في إحدى القرى حول مدينة شارلوت في ولاية نورث كارولينا. وقد عمل والده قسيسا خاصا للرؤساء الأمريكيين منذ عهد ريتشارد نيكسون وحتى الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون، ويتولى ابنه فرانكلين غراهام الآن المهمة نفسها بعد تقاعد الأب، وقام بالمراسم الدينية لتنصيب الرئيس الأمريكي الحالي جورج بوش الإبن، إضافة إلى توليه كافة مسؤوليات الكنيسة التي أنشأها أبوه، والتي تعد من أكبر الكنائس الأمريكية عددا وتأثيرا، وقامت خلال السنوات الماضية بأكثر من 450 حملة تنصيرية في مختلف بقاع العالم. ويقوم فرانكلين غراهام حاليا بالدور نفسه من خلال هذه الكنيسة التي تصل بحملاتها إلى الملايين في كل العالم. وله موقع على الإنترنت، وهو الموقع الخاص بالمؤسسة الإغاثية إضافة إلى موقع أبيه على الإنترنت المعروف، والموقع يشمل معلومات بست لغات، وموقعا خاصا للشباب، إضافة إلى مجلة أسبوعية.[9]

4-جيري فاينز (Jerry Vines):

وهو راعي كنيسة في جاكسون فيل فلوريدا، يصل عدد أتباعها إلى 25 ألف شخص، وهو من أبرز المتحدثين الأمريكيين في المؤتمر

السنوي للكنائس المعمدانية الجنوبية، وهو أكبر مؤتمر ديني يعقد في كل عام، وقام الرئيس الحالي والرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية بمدح هذا القسيس واعتباره من المتحدثين بصدق عن دينهم. وله موقع على شبكة الإنترنت.[10]

في العلاقة بين رجال الدين والسياسة في البيت الأمريكي:

تمثل الشخصيات السابقة المرجعية الدينية الحالية للتيار الأصولي اليميني والحزب الجمهوري الذي يمثله الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش (الإبن)، إضافة إلى ذلك فإن قوة العلاقة تتضح من خلال الآتي:

- فرانكلين غراهام.. كان هو الذي أدى الأدعية الافتتاحية للمباركة في بداية الفترة الرئاسية في حفل تنصيب الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش (الإبن).
- قام الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش بمخاطبة الحاضرين بالمؤتمر السنوي للكنائس المعمدانية الجنوبية من خلال الأقمار الصناعية، وهو المؤتمر الديني الوحيد الذي تحدث فيه الرئيس الأمريكي السابق، وهو المؤتمر نفسه الذي افتتح أعماله بإهانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم واتهامه بأقذع وأشنع التهم الأخلاقية.
- قام الحزب الجمهوري في 16 أكتوبر 2002م بتكريم كل من (بات روبرتسون) و(جيري فالويل) لمساهمتهم في دعم التيار اليميني المحافظ والحزب الجمهوري، وشارك في الاجتماع عدد كبير من قيادات الحزب الجمهوري وأعضاء الكونغرس الأمريكي.
- قام البيت الأبيض في يوم الجمعة 4 أكتوبر 2002م بالإعلان عن منحة دينية قدرها (500.000) دولار أمريكي (نصف مليون دولار) إلى بات روبرتسون، وهي الدفعة الأولى التي يمنحها البيت الأبيض الأمريكي لأي مؤسسة أو شخصية دينية سوف تتبعها دفعات أخرى.
- أن العلاقة بين كل من (بات روبرتسون) و(جيري فالويل) و(بيلي غراهام) من طرف، وبين الرؤساء الأمريكيين الجمهوريين من طرف آخر

تعتبر علاقة قوية ومعروفة لكل الأوساط السياسية والدينية والإعلامية الأمريكية.

- لا تتوانى هذه الرموز الدينية الأمريكية عن التأكيد على ضرورة تأييد إسرائيل مهما بلغ حجم اعتداءاتها على الشعب المسلم في فلسطين، وحث الإدارة الأمريكية على الدعم اللامشروط لإسرائيل تحت دعاوى تحقيق التنبؤات الدينية للتيارات اليمينية المرتبطة بالحزب الجمهوري.

الحملة الإعلامو– دينية الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

لا حظ مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) في واشنطن أن الحملة الفعلية على الإسلام في السعودية قد بدأت في اليوم التالي لأحداث 11 سبتمبر، رغم أنه لم تكن تبينت أية معلومات عن هوية القائمين على الحادث!!.

وقد سجلت منظمة كير (CAIR) الأمريكية في إحدى دراساتها حجم تلك الحملة.

وللاستفادة من تلك الدراسة، فإن عرض أهم ما جاء في خلاصتها الإحصائية خير معبر عن سياسة الإرهاب الإعلامية، وما يترتب عليها من صور أخرى من الإرهاب، ولقد حرص المجلس أن يوثق هذه الدراسة المختصرة بالرسوم البيانية والإحصائية من المصادر الغربية (الأمريكية) الموثوقة والمعترف بها حرصا على الدقة وتوخيا للتوثيق العلمي لأبعاد الحملة الإعلامية، وكان منها بإيجاز:

- متوسط عدد المقالات التي نشرت عن السعودية شهريا في عام 1999م كان 272 مقالا في الشهر، مقارنة ب235 مقالا في الشهر لعام 2000م.
- أما في عام 2001م فقد وصل متوسط عدد المقالات شهريا إلى ما يزيد عن 1200 مقال شهريا، أي بزيادة تبلغ أكثر من 4 أضعاف الأعوام السابقة.
- كان أكتوبر هو أكبر شهور عام 2001م من ناحية عدد المقالات التي نشرت عن قضايا الإسلام في المملكة، وقد بلغ 4212 مقالا.
- بلغ عدد المقالات عن الإسلام في السعودية أكثر من 14639 مقالا

خلال عام 2001م مقارنة بما يقرب من 2900 مقال في العام السابق، أي بزيادة تتعدى 400%!!.

- استمرت تغطية موضوعات الإسلام في السعودية طوال شهري سبتمبر وأكتوبر بكثافة غير عادية وصلت إلى أكثر من 8300 مقال خلا الشهرين وهو مجموع المقالات التي نشرت عن الإسلام في المملكة منذ الحادي عشر من سبتمبر وحتى نهاية شهر أكتوبر من عام 2001م، مقارنة ب 600 مقال في الفترة الزمنية نفسها من عام 2000م، أي بزيادة تتجاوز 21 ضعفا!!.
- تم إجراء بحث إحصائي مفصل حول تغطية الإعلام الغربي (الأمريكي) لعدد من القضايا الإسلامية الهامة المتعلقة بالمملكة السعودية وهي:

*موضوعات المناهج الدراسية والتعليم في السعودية.

* قضايا المرأة المسلمة في السعودية.

* الربط بين مصطلح الإرهاب بمفهومه الغربي وبين السعودية.

* الاهتمام بعلماء ودعاة السعودية من قبل الإعلام الغربي.[11]

إن هذا الحجم من المقالات في الإعلام الأمريكي – والتي تم حصرها في فترة وجيزة – يعتبره البعض بحق (إعلان حرب) على الإسلام ومن يمثله من دول أو مؤسسات خيرية وعلمية.

وإضافة إلى هذا الرصد الإعلامي عن السعودية، فهناك تقارير أو توصيات، وأحيانا قرارات تعلن أو تتسرب بقصد أو بغيره، تكون صادرة من بعض الجهات الرسمية أو الإعلامية، ومن ذلك على سبيل المثال ما ذكره الأستاذ/ زين العابدين الركابي في صحيفة الشرق الأوسط حيث قال:

منذ باشر الفاعلون تلك الفتنة القاصمة في سبتمبر 2001م، توجهت سهام الاتهام والتشويه والحرق إلى العمل الخيري السعودي، وهي حملات كشفت أن هناك (حقدا تراكم عبر عشرات السنين) ثم وجد الفرصة ليتفجر كله جملة واحدة، وبفجور تحلل من كل التزام قانوني وحضاري وأخلاقي وإنساني.

ومن أظهر تداعيات (الفتنة الإرهابية الدولية) طغيان الأكاذيب الشاملة، إذ غدت هذه الأكاذيب هي

العملة الأولى الرائجة في سوق سبتمبر.

ولقد رزئ العمل الخيري السعودي بأكبر كم من الأكاذيب، ومن ذلك: التقرير الذي أصدره (مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي) بتاريخ 17/ 10/ 2002م، فهذا التقرير اتهم أثرياء سعوديين كثر، واتهم الجمعيات الخيرية السعودية، اتهم هؤلاء جميعا بأنهم يمولون الإرهاب بوجه عام ويمولون القاعدة بشكل خاص!!.

وما ادعاء التقرير (كذبة ضخمة)، والذين يثبتون هذه الكذبة العالمية ليسوا نحن، بل مسؤولون أمريكيون حاليون وسابقون وهذه شهاداتهم:

1- شهادة (روبرت نيكولز) نائب مساعد وزير الخزانة الأمريكي للشؤون العامة، فقد قال: إن التقرير معيب بصورة خطيرة.

2- شهادة (غريغ سوليفان) المتحدث باسم مكتب الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأمريكي، إذ قال: إن وزارة الخارجية لا تجد في تقرير مجلس العلاقات الخارجية شيئا جديدا فيما يتعلق بالمنظمات الخيرية السعودية، بل ليس فيه ما يتطابق مع الواقع، وفي أحسن الأحوال هو تقرير سطحي ويخلو من أي مادة حقيقية، هو تقرير يتسم بالعمومية الشديدة، ولا يتضمن أية إتهامات جادة أو أي شيء يثبت القصور السعودي، وإني أشعر بالإحباط الشديد من المتطرفين في وسائل الإعلام الأمريكية الذين يفسرون تصرف الحكومات على الوجه الأسوأ.

3- شهادة (جيمي غورول)- وهو المسؤول المختص عن وقف مصادر التمويل للجماعات الإرهابية – حيث قال: إن القائمة التي انتظمت 12 إسما متهما بتمويل الإرهاب لا تتضمن اسم أي سعودي.

4- شهادة (ريتشارد ميرفي) الدبلوماسي الأمريكي

السابق الذي قال: لقد أصبت بالدهشة عند سماع هذا التقرير، فالمعلومات الموجودة فيه لا ترقى إلى مستوى الدقة، ولا أعرف ما هو الأساس الذي بنى عليه التقرير استنتاجاته؟، إن التقرير يعكس المزيد من عجز الولايات المتحدة في تعقب الأموال الإرهابية.

إذن التقرير كاذب.. ولكن ماذا وراءه؟، الأسباب كثيرة ومن بينها بل في طليعتها: أن الصهيونية ضاقت إلى درجة الاختناق من العون السعودي الخيري والإنساني المقدم للشعب الفلسطيني[12]، فالمؤسسة الصهيونية تجوع الشعب الفلسطيني، وتقتله، وتدمر بنيانه، ولا تريد أن يكون على وجه الأرض من يطعمه، ويكفل أيتامه، ويعيد بناء المدمر من بيوته، ومؤسساته، بل تكره من يفعل ذلك كراهية الشيطان لفعل الخير، وما هو بالمجازفة الفكرية والمعلوماتية أن نقول إن أنفاس الصهيونية مغروسة في ذلك التقرير الكذوب. ومن هنا فهو تقرير يخدم الصهيونية ولا يخدم صورة أمريكا ولا أمنها، ومهما يكن من شأن فإن الصدع بالحق هو الذي ينبغي أن يسود لكي يتعامل العالم مع الحقائق النافعة، لا مع أوهام الصهيونية، ولا مع أهواء غيرها.[13]

الإرهاب الإعلامي الأمريكي وقوة المفاهيم الكنسية العقدية:

وهناك وجه آخر وصورة أخرى من صور الإرهاب تعكس مدى قوة المفاهيم الكنسية العقدية في أمريكا، وتوجيهها للإعلام تجاه الإسلام والمسلمين، فقد سببت أحداث 11 سبتمبر مضاعفة الحملات الإعلامية على السعودية – والتي كانت تحدث بين حين وآخر – إلا أنها أخذت منحى أشد في التدخل في سيادتها وسياساتها الداخلية، خاصة الجانب الديني، وهذا يدل على البعد الديني للحملة للاعتبارات التالية:

1- أنهابلاد الحرمين ومهبط الرسالة القرآنية وقبلة المسلمين جميعا، ويشكل الإسلام والمسلمين – حسب اعتقادهم القديم والجديد – مصارعا قويا، وخصما عنيدا. والمتأمل في تقرير واحد من التقارير الجادة والذي تم تقديمه كتوصيات لوزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)

من قبل خبير معهد (راند) في ولاية كاليفورنيا من قبل (لورنتموراويك)، يلاحظ المتأمل لهذا التقرير أنه ركز على مصادر قوة السعودية، ويلاحظ أن التقرير تسيطر عليه بشكل كبير الدوافع الدينية، حيث إن خلاصة المطالب في التقرير حسب ما أشار إليه البند 21 فقط تحت عنوان إنذار إلى السعوديين..

* وقف تمويل كل المدارس الأصولية، المساجد والعلماء في كل العالم.

* وقف كل الكتابات المعادية لأمريكا، والمعادية لإسرائيل، وللغرب.

* حل كل المنظمات الإسلامية الخيرية ومصادرة ممتلكاتها.

*محاكمة أو عزل كل من يشترك في الإرهاب، بما في ذلك الذين يعملون في (الأجهزة الأمنية).[14]

2- تعتبر السعودية من مصادر القوة الدينية والعلمية والثقافية، كما أن لها ثقلا وقوة من خلال المؤسسات والأعمال الخيرية على مستوى العالم الإسلامي والعربي، وهذا المصدر يعتبر من أقوى ما تتميز به بلاد الحرمين التي أكرمها الله بالرعاية والعناية بقبلة المسلمين ومسجد نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، تلك القوة والمكانة التي تكسبها مؤازرة الأمم والشعوب والدول الإسلامية، كما تنافس بتلك القوة والمكانة خصومها، حتى إن بعض الأفراد من مسؤولين أو علماء أو من رجال المال والأعمال بأعمالهم ومؤسساتهم أو أنشطتهم، يشكلون أعمالا خيرية مباركة وفاعلة على المستوى التعليمي والدعوي والإغاثي، ولا شك أن هذه القوة والمكانة أصبحت وبشكل أكثر من قبل عامل إزعاج للقوى الدينية الخفية والمعلنة في أمريكا وإسرائيل، مما يدعوهم بقوة للعمل على

تهميش الدور السعودي الرسمي والشعبي.

3- يدرك الغرب المتعصب – وأمريكا بشكل خاص – أهمية المرحلة الحالية والمستقبلية، وان القوة الحقيقية خاصة في المستقبل هي القوة الدينية، وان القوة العسكرية أو القوة الاقتصادية أو السياسية لن تهزم القوة الدينية الحقيقية، ولذلك فهم يحسبون لها الحسابات بجانب تهميش القوة العسكرية أو الاقتصادية لبعض دول العالم العربي والإسلامي، وكل دولة لها مصادر قوة معنية ومعينة يحسب حسابها، وقد أدركوا أن السعودية (بلاد الحرمين) تشكل منافسا للقوى الدينية الأخرى في مجال القوة الدينية، خاصة وأنهم يستعدون بشكل مبكر لإقصاء وإبعاد المؤسسات الخيرية عامة والسعودية بشكل خاص عن فلسطين وبيت المقدس، حتى أصبحت إغاثة الشعب الفلسطيني بالطعام والشراب والدواء أو رعاية مدرسة هناك دعما للإرهاب، ولاسيما مع هذا الحصار الحدودي والحديدي على الشعب الفلسطيني، ويكتمل هذا بعزل المؤسسات الخيرية الإسلامية عن مد يد العون والعطاء والمساهمة في رفع الفقر والجهل عن إخوانهم في فلسطين.

4- لا شك أن الحملة لها من الأهداف البعيدة أكثر من أهدافها القريبة، ولا شك أن المستقبل لديهم أهم من الماضي، حيث يراد منها الاستجابة لحملات تجفيف منابع الخير والدين، من خلال ممارسة الضغط والابتزاز، فكلما انتهت قضية فإن قضية أخرى جاهزة للتصعيد، فالسياسة الحالية للقوى الخفية في الإدارة الأمريكية أن لا تتوقف تلك الحملات، رغم أن الإدارة الأمريكية تدرك أن الاستجابة لتلك الضغوط – من قبل القوى الخفية –

تتعارض مع الرسالة الإسلامية لبلاد الحرمين، تلك الرسالة الداخلية والخارجية التي تزيد بها عن غيرها من الدول الإسلامية تجاه قضايا جميع المسلمين ووجوب نصرتهم ومؤازرتهم، لأن العمل الخيري حق لجميع البشرية وخير سفير لأي دولة، حتى حين تنقطع العلاقات السياسية فإنه يجب أن يتخطى الحدود الجغرافية والسياسية كواجب مشروع لا يمكن التخلي عنه، وعلى رأس تلك القضايا لبلاد الحرمين قضية فلسطين وبيت المقدس، وهذا ما أشار إليه وزير الداخلية السعودية آنذاك بقوله: إن هذه الحملات لن تثني القيادة والشعب السعوديين عن الوفاء بالتزاماتها تجاه عقيدتهما وأمتهما والعالم، مؤكدا الموقف السعودي الرافض للإرهاب. وقال الأمير نايف الذي كان يرأس لجنة لدعم الانتفاضة: "إن المساعدات السعودية للشعب الفلسطيني تقدم لأسر قتل أبناؤها وأولياء أمورها"، ورفض ما ورد في صحيفة معاريف الإسرائيلية من انتقادات حول هذه المسألة وقال: "ليس لدينا ما نخشاه، فالسعودية تقدم مساعدات لأسر ضحايا القمع الإسرائيلي من الفلسطينيين، وخاصة الأسر التي فقدت عائلها"[15]، ولا شك أن هذه الرسالة للسعودية تتعارض مع أهواء واعتقادات المتعصبين في السياسة الأمريكية ومصالح إسرائيل وأطماعهم الحاضرة والمستقبلية.

5- إن الحملات الإعلامية تثبت أن 15 من منفذي أحداث الحادي عشر من سبتمبر من السعودية، وإذا ثبت هذا عليهم فإنهم قد يعتبرون بجهل منهم أن معظم الشعب السعودي قد يقدم نفسه للإضرار بأمريكا مرة أخرى، أو بالزحف على إسرائيل اعتقادا منهم أن القوة الدينية هي الخطر القائم

والقادم وخوفا على أن تكون معركتهم الدينية (هرمجدون) القادمة حسب اعتقادهم تقاوم بدوافع دينية من قبل خصومهم، فكانت تلك الحملات لإقصاء وتهميش مصادر القوة بالحملة على بلاد الحرمين وإقصائها عن حقها المشروع، ولا شك أنها حملة ذكية أرادت إقصاء السعودية عن مصادر قوتها الحقيقية التي قامت عليها وتوحدت بها مناهج تعليمية متميزة، وجامعات إسلامية خرجت العلماء والدعاة، إضافة إلى مساهماتها الفعالة في الأعمال الخيرية الخارجية.

إن من مصادر القوة الحقيقية للمجتمع والدولة السعودية: مكانة المرأة المرموقة في تعليمها وعملها المتميز كمربية وحاضنة الأجيال، وكمدرسة حصينة وبنجاح في تميز التعليم والعمل بعيدا عن النموذج الغربي في التعليم أو العمل، ولكل بلد إسلامي نوع من الحملات تتم محاسبته وتصنيفه حسب نوع قوته، والشريعة الإسلامية والانتماء القوي لدين الإسلام في السعودية تعتبره معظم الدوائر الغربية المتعصبة مصدر قوة يتعارض مع الوجود الإسرائيلي في فلسطين وبيت المقدس، والتهميش لهذه القوة تهميش لبلاد الحرمين ولمركز الجزيرة العربية من الوجود الفعلي في ساحة الأحداث، ولذلك يتم ربط الإرهاب بالإسلام قديما وحديثا، ويتعدى ذلك إلى ربطه بالمسلمين جميعا، وإلى هذا أشار الكاتب الأمريكي (بول فندلي) حينما قال: "هناك العديد من المنافقين بين قادة المسيحيين، لكن الإسلام بخلاف الأديان الأخرى يربط في الأخبار والتقارير والمقالات بالعنف باستمرار، في حين أنه نادرا ما تذكر ديانة الفاعلين عندما ترتكب أعمال مروعة على أيدي أناس ينتمون إلى ديانات أخرى، فالتقارير

الإخبارية لم تشر إطلاقا إلى المذابح المرتكبة ضد (ألبان كوسوفو) بأنها أعمال قتل ارتكبها الصرب الأرثوذكس، وأن (البورميين) يقتلون بأيدي البوذيين، وأن (الفلسطينيين) يقتلون بأيدي اليهود، فالجناة يحددون روتينيا بهويتهم القومية، وليس بانتماءاتهم الدينية، إلا عندما يكونون مسلمين، إذ لا ينظر إلى مرتكبي العنف المسيحيين بأنهم يشوهون سمعة المسيحية، ولكن إذا ارتكب مسلم إثما فإن هذا الإثم يصور كعنصر من عناصر الخطر الإسلامي الداهم على أمريكا، وعندما نقف لنتأمل في حقد الدولة اليهودية التي تغزو لبنان وتقتل الألوف، والتي تقصف بيوت الفلسطينيين وتقتلعهم من وطنهم، فإننا نقاوم مغريات التفكير في أن العنف والتعصب من دعائم اليهودية. لا ريب في أننا نجد هنا مكيالين يكال بهما، حيث يلقى اللوم على الإسلام في النزاعات الدولية". ويقول (بول فندلي): "إن هذه الإزدواجية في التعامل هي التي تعزز أخبث تنميط للإسلام وأوسعه انتشارا، ألا وهو ربط المسلمين بالإرهاب".[16]

وإضافة إلى ما تم ذكره من أسباب قد تداخلت في بعضها البعض، فإن إضافة بعض الحقائق عن هذا الموضوع تبدو مهمة لإثراء هذا الجانب، حيث تؤكد هذه الحقائق معظم الأسباب السابقة، كما تضيف أبعادا وأسبابا أخرى، وذلك مما كتبه الأستاذ زين العابدين الركابي في صحيفة الشرق الأوسط حينما تحدث عن وجوب تعامل العالم مع الحقائق فقال:

" –الحقيقة الأولى: أن فعل الخير (حق) من حقوق الإنسان، حق على الباذل المعطي وحق للآخذ المتلقي، (لاسيما في عصر بدت تنتهك فيه حقوق الدول إضافة لحقوق الإنسان).

- الحقيقة الثانية: أن قطاعات واسعة من البشرية المعاصرة يغتالها الجوع والبؤس، وأن الواجب الإنساني يقتضي على القادر من الناس أن ينقذ من يستطيع من الناس من مخالب الجوع والبؤس، والغريب هاهنا أن

الجهات نفسها تتهم السعوديين بأنهم يتمتعون بخيراتهم دون سواهم، فإذا سارعوا إلى مد يد العون لغيرهم اتهموهم بتمويل الإرهاب!!، وحين تتناقض التهم وتتناطح تسقط التهمة.

-الحقيقة الثالثة: أن الشعب السعودي يعيش فوق أرض شهدت فيضا غدقا، ونادرا في التاريخ الاجتماعي الإنساني من السخاء والجود والعطاء ينبوعه الجبلة والطبع، وتقاليد البيئة التي كانت تذم البخل والبخلاء قبل مجيء الإسلام، وحقيقة أن منهج الإسلام جاء فأكد على هذا الطبع النبيل بعد أن زوده الباعث بالحق والمقصد الأسمى، فالإنفاق أصل خيري وإنساني عظيم من أصول الإسلام.

- الحقيقة الرابعة: الإحياء الحضاري الذي يصل حاضرنا بماضينا، ويجعل رصيد الأمس قاعدة لحضارة إنسانية متألقة في الحاضر والمستقبل، فقد كان أسلافنا – ولنا حق استحضار نموذجهم النافع الحافز، كما للأمريكيين حق الافتخار بآبائهم المؤسسين – كان أسلافنا يتفننون في صور العمل الإنساني تفننا لم يسبقهم إليه أحد، ومن ذلك مثلا ما قرره فقهاء المسلمين.. فهل تضيق البشرية وتمرض اليوم إذا ازدانت الأرض بمثل هذه الأعمال الباهرة؟؟.

- الحقيقة الخامسة: أن للسعوديين روابط إسلامية بمسلمي العالم نص عليها القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ونص عليها – تبعا-النظام الأساسي للحكم، ومن الصدق والوفاء لهذه الروابط تقديم المساعدات الخيرية للمسلمين، وللناس أجمعين وفق الترتيب المنهجي لدوائر تلقي البذل والعطاء والإنفاق هنا وهناك.".

خاتمة:

وبناء على ما سبق، بات واضحا أن الإسلام وعلاقته بالديمقراطية وحقوق الإنسان أصبح موضوعاً دائماً في الإعلام الغربي والأمريكي حيث كان الصدام الحضاري بين الإسلام والغرب يثار من قبل 9/11 ولكن الآن أصبح يثار بعنف أكثر.وما يعمق من وسائط الإثارة الإعلامية للصراع بين الإسلام والغرب هو دعم الحكومات الغربية وبالذات أمريكا للحملات المعادية للإسلام في الدوائر الإعلامية الغربية، خاصة معظهور تيار غربي قوي يتبنى فرض ما يطلق عليه الإصلاح الشامل للفكر الإسلامي كمدخل لمحاربة الاتجاهات المتطرفة في الفكر الإسلامي.وهو ما يتطابق مع التأكيدات الأمريكية القاضية أن البيت الأبيض ليس هدفه من الحملة العالمية هو محاربة الإرهاب

بالأساس بل تغيير الفكر الإسلامي ليتوافق مع حضارة العولمة إما بالضغوط السياسية أو العسكرية والاقتصادية.

وهو ما نجحت في تحقيقه إدارة الصقور ومن ورائها معاول الإعلام الكنسي الغربي:حيث ومنذ 9/11 نشطت عملية الحوار الإسلامي مع الغرب، وهو في حقيقة الأمر حوار داخلي بين المسلمين كعملية مراجعة الفكر الإسلامي أشبه ماتكون بغسيل المخ الذاتي.إلى جانب تنظيم مؤتمر جامعة الدول العربية وهو الذي دعا له عمرو موسى حول حوار الحضارات في القاهرة، حيث كان الهدف المعلن له هوالدفاع عن الإسلام أمام حملات التشكيك الغربية ولكن هذا المؤتمر تحول ليصبح حوارا داخلياً بين العرب والمسلمين حول الديمقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون في الإسلام وهو ما رافعت من أجلهأمريكا.

ومن أهم مظاهر جدوى وفاعلية تلك الحملات والضغوطات الإعلامية: إعلان الرئيس الباكستاني السابق برويز مشرف بأن الخطاب الإسلامي الراهن يعمل على تخلف المسلمين ونادى بتنقية المناهج الدينية وكان (مشرف) أول رئيس مسلم بعد 9/11 يعلن ذلك، وكان من المتوقع آنذاك اندلاع مظاهرات من الجماعات الدينية في باكستان ولكن ذلك لم يحدث.إلى جانب، دعوة الرئيس المصري السابق مبارك إلى تجديد الخطاب الديني الإسلامي، والذي جاء نتيجة الضغوط الأمريكية. ليحصد الإعلام الكنسي في الأخير على نصر تاريخي وبسواعد بريطانية وهذا عندزيارة شيخ الأزهر أسقف إنجلترا وقيامه بعقد العديد من الندوات حول سماحة الإسلام والحوار مع الغرب.

الهوامش:

(*) أستاذ محاضر صنف "أ"قسم العلوم السياسية – جامعة علي لونيسي (البليدة 02)البريد الإلكتروني: nassaiki@yahoo.fr.

(**) أستاذ محاضر صنف "أ" بجامعة زيان عاشور بالجلفة.

(1) إن مما يجب التنبه إليه أن ظاهرة بيع الكنائس أو خلوها من الرواد خاصة في أوروبا وأمريكا لا يعني التحول عن الديانة بقدر ما يعني التنويع في وسائل العبادة والديانة.

(2) المصدر: تم نقل هذه المعلومات عن القوة الإعلامية الدينية في أمريكا من كتاب (البعد الديني في السياسة الأمريكية) ص.، 97، من إصدارات مركز دراسات الوحدة العربية/ د. يوسف الحسن، وقد نقل المؤلف عدد من المصادر الأمريكية ومنها:

Newsweek (3 march 1986) p. 72-

- حسن حداد، (العامل الديني في سياسة أميركا الشرق أوسطية)، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 93 أغسطس 1989م، ص.، 183

- Yearbook Of American And Canadian Churches (Nashville: AdingdonPress 1984, P. 15

- Washington Times (15 November 1985)

- John L Kaster, Christian on the right (New York: seaburypress 1982) p. 108

- Peter Steinfels, The Neo – Conservatives: the Men who are.

(3) الجدول مقتبس من كتاب (البعد الديني في السياسة الأمريكية)، ص.، 97، د. يوسف الحسن، (ويلاحظ أن هذا من إحصائيات قديمة).

(4) المصدر: أنظر: عن قوة الإعلام الديني في أمريكا، كتاب (العالم في عام)، من إصدار المنتدى الإسلامي (لندن)، ومجلة الكوثر عدد (19).

(5) مصدر المعلومات الإعلامية الدينية مجلة الكوثر عدد (19).

(6) المصدر: عن مكتب البيت الأبيض للأديان، أنظر كتاب:

(Giving USA 2002/ P. 98).-

(7) أنظر موقعه في الإنترنت:

- www. Falwell. Com

(8) أنظر موقعه في الإنترنت:

- www. patrobertson. Com

(9) أنظر موقعه في الإنترنت:

- www. samaritan. org

وموقع والده كذلك على الإنترنت:

- www. billygraham. Com

(10) أنظر موقعه في الإنترنت:

- www. fbcjax. Com

(11) المصدر: لمزيد من المعلومات أنظر التقرير المنشور بعنوان (السعودية والإعلام الغربي بعد أحداث 11 سبتمبر) إعداد مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية كير (CAIR) 2002م.

(12) وهذا يؤكد أيضا تلازم حملات دعوى الإرهاب على المؤسسات الخيرية والقضية الفلسطينية، وهو من التحضير المبكر للصراع المنتظر في فلسطين، وذلك لإقصاء المؤسسات عن دورها ورسالتها في فلسطين وبيت المقدس.

(13) صحيفة الشرق الأوسط في 20/ 8/ 1423 هـ الموافق 26/ 10/ 2002م من مقال لكاتب/ زين العابدين الركابي.

(14) المصدر: مجلة المجلة، العدد 1179 في 7 – 1423/1/14 هـ الموافق 15 – 21/ 9/ 2002م. يمكن الرجوع إلى هذا التقرير في صفحتين من المجلة المذكورة.

(15) المصدر: لتصريح الوزير، صحيفة الوطن السعودية، في: 20/ 7/ 1423هـ الموافق 11/27/ 2002م.

(16) المصدر: كتاب (لا سكوت بعد اليوم)، ص.، 98، تأليف: بول فندلي، نقلا عن:

- Los Angeles Herald – Examiner, 2- 26- 1989, p. G.